

(010) 514 من قراءة من تفسير السعدي\الجزء(1) سورة البقرة (9 من الآيات:) 301-38 (كبار العلماء)

عبدالرحمن السعدي

وان اخذنا ميثاقبني اسرائيل لا تعبدون الا الله بالوالدين احسانا وذو القربي والمساكين وقولوا للناس حسنا. واقيموا الصلة واتوا الزكاة ثم توليتكم وهذه الشرائع من اصول الدين التي امر الله بها في كل شريعة اجتماع - 00:00:00
على المصالح العامة في كل زمان ومكان. فلا يدخلها نسخ كاصل الدين. ولهذا امرنا الله بها في قوله واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا فقوله واذا اخذنا ميثاقبني اسرائيل هذا من قسوتهم ان كل امر امرروا به استعصوا فلا يقبلونه الا بالایمان - 00:00:30
والاهود المؤثقة. لا تعبدون الا الله. هذا امر بعبادة الله وحده. ونهي عن الشرك به. وهذا اصل الدين. فلا تقبل الاعمال كلها ان لم يكن هذا اساسها فهذا حق الله تعالى على عباده. ثم قال وبالوالدين احسانا اي احسنوا بالوالدين احسانا. وهذا 00:00:50
يعلم كل احسان قولي وفعلي. مما هو احسان اليهم. وفيه النهي عن الاساءة الى الوالدين. او عدم الاحسان والاساءة. لان الواجب الاحسان والامر بالشيء نهي عن ضده. وللحسان ظدان الاساءة وهي اعظم جرم. وترك الاحسان بدون اساءة. وهذا محرم - 00:01:10
لكن لا يجب ان يلحق بالاول. وكذا يقال في صلة الاقارب واليتامى والمساكين. وتفاصيل الاحسان لا تنحصر بالعدل. بل تكون بالحد كما تقدم ثم امر بالاحسان الى الناس عموما فقال وقولوا للناس حسنا. ومن القول الحسن امرهم بالمعرفة ونهيهم عن المنكر - 00:01:30

وتعليمهم العلم وبذل السلام والشاشة وغير ذلك من كل كلام طيب. ولما كان الانسان لا يسع الناس بمائه امر بامر يقدر به على الاحسان الى كل مخلوق وهو الاحسان بالقول فيكون في ضمن ذلك النهي عن الكلام القبيح للناس حتى للكفار. ولهذا قال تعالى - 00:01:50

لا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن. ومن ادب الانسان الذي ادب الله به عباده. ان يكون الانسان نزيها في اقواله وافعاله. غير فاحش ولا بد فيه ولا شاتم ولا مخاصم. بل يكون حسن الخلق واسع الحلم مجاما لكل احد صبورا على ما يناله من اذى الخلق - 00:02:10

امتثالا لامر الله ورجاء لثوابه. ثم امرهم باقامة الصلة وابقاء الزكاة. لما تقدم ان الصلة متضمنة للاخلاص للمعبود. والزكاة كانت متضمنة للحسان الى العبيد. ثم بعد هذا الامر لكم بهذه الاوامر الحسنة. التي اذا نظر اليها البصير العاقل عرف ان من احسان الله الى عباده - 00:02:30

ان امرهم بها وتفضل بها عليهم واخذ المواثيق عليكم. توليتكم على وجه الاعراض لان المتولى قد يتولى وله نية رجوع ما تولى عنه وهؤلاء ليس لهم رغبة ولا رجوع في هذه الاوامر. فنعود بالله من الخذلان. قوله الا قليلا منهم هذا - 00:02:50
استثناء لان لا يوهם انهم تولوا كلهم. فاخبر ان قليلا منهم عصهم الله وثبتهم يسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم ثم اقررتكم وانتم تشهدون. ثم ما انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم - 00:03:10
وان يأتوكم اساري تفاصدوهم وهو محرم عليكم اخراجهم افتؤمنون ببعض الكتاب وتکفرون بعض. فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب اتمملون. وهذا الفعل المذكور في هذه الآية فعل للذين كانوا في زمان الوحي بالمدينة. وذلك ان الاوس والخرزوج وهم الانصار - 00:03:40

مقابل بعث النبي صلى الله عليه وسلم مشركين. وكانوا يقتلون على عادة الجاهلية. فنزلت عليهم الفرق الثلاث من فرق اليهود. بنو قريطة وبنو النضير وبنو قينقاع فكل فرقة منهم حالفت فرقة من اهل المدينة فكانوا اذا اقتلوا اعلن اليهودي حليفه على مقاتلتهم -

00:04:20

الذين تعينهم الفرقة الاخرى من اليهود فيقتل اليهودي اليهودي ويخرجه من دياره اذا حصل جلاء ونهب. ثم اذا وضعت الحرب او زارها وكان قد حصل اساري بين الطائفتين فدى بعضهم ببعض. والامر الثالث كلها قد فرضت عليهم. ففرض عليهم الا يسفك -

00:04:40

بعضهم دم بعض ولا يخرج بعضهم ببعض. اذا وجدوا اسيرا منهم وجب عليهم فداؤه. فعملوا بالاخير وتركوا الاولين. فانكر الله عليهم ذلك فقال افتقؤون ببعض الكتاب وهو فداء الاسير وتکفرون ببعض وهو القتل والاخراج. وفيها اكبر دليل على ان الایمان يقتضي -

00:05:00

بفعل الاوامر واجتناب النواهي. وان المأمورات من الایمان. قال الله تعالى فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا قد وقع ذلك فاخذاهم الله وسلط رسوله عليهم. فقتل من قتل وسبى من سبى منهم واجلى من اجل. ويوم القيمة يردون الى -

00:05:20

اشد العذاب اي اعظمه. وما الله بغافل عما تعلمون. ثم اخبر تعالى عن السبب الذي اوجب لهم الكفر ببعض الكتاب والایمان ببعضه فقال اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة. توهموا انهم ان لم يعيروا حلفائهم حصل لهم -

00:05:40

فاختاروا النار على النار. فلهذا قال فلا يخفف عنهم العذاب بل هو باق على شدته. ولا يحصل لهم راحة بوقت من الاوقات ولا هم ينصرون. اي يدفع عنهم مكروه. ولقد اتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل -

00:06:10

واتينا عيسى ابن مريم البيانات وايدناه بروح القدس بما لا تهوى انفسكم استکبرتم. ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون يمتن تعالى علىبني اسرائيل ان ارسل اليهم كليمه موسى واتاه التوراة ثم تابع من بعده بالرسل الذين -

00:06:30

يحكمون بالتوراة الى ان ختم انبیائهم بعيسى ابن مريم عليهم السلام. واتاهم من الآيات البيانات ما يؤمن على مثله البشر. وايدناه بروح القدس اي قواه الله بروح القدس. قال اکثر المفسرين انه جبريل عليه السلام. وقيل انه الایمان الذي يؤيد الله به عباده -

00:07:00

ثم مع هذه النعم التي لا يقدر قدرها. لما اتوكم بما لا تهوى انفسكم واستکبرتم عن الایمان بهم. ففريقا منهم كذبتم وفريقا تقتلون فقدمتم الهوى على الهدى واثرتم الدنيا على الآخرة. وفيها من التوبیخ والتشدید ما لا يخفى -

00:07:20

وقالوا قلوبنا غلف. بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون. اي اعتذروا وعن الایمان لما دعوتمهم اليه يا ايها الرسول بان قلوبهم غلف اي عليها غلاف واغطية فلا تفقه ما تقول يعني فيكون لهم بزعم -

00:07:39

عذر لعدم العلم. وهذا كذب منهم. فلهذا قال تعالى بل لعنهم الله بكفرهم. اي انهم مطرودون ملعونون بسبب كفرهم فقليلا المؤمن منهم او قليلا ايمانهم وكفرهم هو الكثير على الذين كفروا فلما -

00:07:59

الله على الكافرين بئس ما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا. بغيانا ان ينزل الله بغضب غضب وللكافرين عذاب مهين ايوه لما جاءهم كتاب من عند الله على يد افضل الخلق وخاتم الانبياء. المشتمل على تصديق ما معهم من التوراة. وقد علموا -

00:08:29

به وتيقوه حتى انهم كان اذا وقع بينهم وبين المشركين في الجاهلية حروب استنصروا بهذا النبي وتوعدوهم بخروجه وانهم يقاتلون المشركين معه فلما جاءهم هذا الكتاب والنبي الذي عرفوا به بغيا وحسدا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده. فلعنهم -

00:09:19

الله وغضب عليهم غضبا بعد غضب. لكترة كفرهم وتواли شکهم وشرکهم. ولهما في الآخرة عذاب مهين. اي مؤلم موجع. وهو الجحيم وفوت النعيم المقيم فبئس الحال حالهم وبئس ما استعواوا واستبدلوا من الایمان بالله وكتبه ورسله الكفر به وبكتبه -

00:09:39

مع علمهم وتيقنهم فيكون اعظم لعذابهم. اذا قيل لهم امنوا بما انزل الله قالوا بما انزل علينا ويکفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم اي اذا امر اليهود بالایمان بما انزل الله على - 00:09:59

رسوله وهو القرآن استكروا واتوا وقالوا نؤمن بما انزل علينا ويکفرون بما وراءه اي بما سواه من الكتب مع ان الواجب ان يؤمن بما انزل الله مطلقا. سواء انزل عليهم او على غيرهم. وهذا هو الایمان النافع. الایمان بما انزل الله على جميع رسول الله - 00:10:29
اما التفريق بين الرسل والكتب وزعم الایمان ببعضها دون بعض فهذا ليس بايمان. بل هو الكفر بعينه. وللهذا قال الله تعالى ان الذين يکفرون بالله ورسله. ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله. ويقولون نؤمن ببعض ونکفر ببعض. ويريدون ان يتخدوا بين ذلك سبيلا -

00:10:49

قيل اولئك هم الكافرون حقا. وللهذا رد عليهم تبارك وتعالى هنا ردا شافيا. والزمهن الزاما لا محيد لهم عنه. فرد عليهم بکفر بالقرآن بأمررين فقال وهو الحق. اذا كان هو الحق في جميع ما اشتمل عليه من الاخبارات والاوامر والنواهي. وهو من عند ربهم - 00:11:09
الکفر به بعد ذلك کفر بالله وكفر بالحق الذي انزله. ثم قال مصدقا لما معهم اي موافقا له في كل ما دل عليه من الحق مهمتنا عليه فلما تؤمنون بما انزل عليكم وتکفرون بنظيره؟ وهل هذا الا تعصب واتباع للهوى لا للهوى؟ وايضا - 00:11:29
ان كون القرآن مصدقا لما معهم يقتضي انه حجة لهم على صدق ما في ايديهم من الكتب. فلا سبيل لهم الى اثباتها الا به. فاذا كفروا به وجحدوا صاروا بمنزلة من ادعى دعوة بحجة وبينة ليس له غيرها. ولا تتم دعواه الا بالسلامة بينته. ثم يأتي هو لبينته وحجته -

00:11:49

يقدح فيها ويکذب فيها.ليس هذا من الحماقة والجنون؟ فكان کفرهم بالقرآن کفرا بما في ايديهم ونقضا له. ثم نقض تعالى عليهم دعواهم الایمان بما انزل اليهم بقوله قل لهم فلم تقتلون انباء الله من قبل ان كنتم مؤمنين - 00:12:09
موسى بالبيانات ثم اخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون. ولقد جاءكم موسى بالبيانات. اي الادلة الواضحات المبينة للحق. ثم اخذتم العجل من بعده اي من بعد مجئه. وانتم ظالمون في ذلك. ليس لكم عذر - 00:12:29
ان میثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة واسمعوا. قالوا سمعنا وعصينا وشربوا في قلوبهم العجل بکفرهم. قل بئس ما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين. واد اخذنا میثاقكم ورفعنا فوقكم الطور. خذوا ما اتيناكم بقوة واسمعوا. اي سمع قبول وطاعة -

00:12:49

واستجابة قالوا سمعنا وعصينا. اي صارت هذه حالتهم وشربوا في قلوبهم العجل. اي صبغ حب العجل وحب عبادته في قلوبهم وتشربها بسبب کفرهم. قل بئس ما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين. اي انتم تدعون الایمان وتتمدحون بالدين - 00:13:19
دين الحق وانتم قتلتكم انباء الله واتخذتم العجل لها من دون الله. لما غاب عنكم موسى نبی الله ولم تقبلوا اوامرہ ونواهیه الا بعد التهديد ورفع الطور فوقكم. فالالتزام بالقول ونقضتم بالفعل. فما هذا الایمان الذي ادعیتم؟ وما هذا الدين؟ فان - 00:13:39
ان هذا ايمان على زعمكم فيئس الایمان الداعي صاحبه الى الطغيان والکفر برسل الله وکثرة العصيان. وقد عهد ان الایمان الصحيح يأمر صحبه بكل خير وينهاه عن كل شر. فوضح بهذا کذبهم وتبين تناقضهم. قل ان كانت لكم الدار - 00:13:59
فتمنوا الموت. فتمنوا انه الموت ان كنتم صادقين. اي قل لهم على وجه تصحيح دعواهم ان كانت لكم الدار الاخرة يعني الجنة خالصة من دون الناس. كما زعمتم انه لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصاري. وان النار لن تمسمهم الا اياما معدودة. فان كنتم - 00:14:19
صادقين بهذه الدعوة. فتمنوا الموت وهذا نوع مباھلة بينهم وبين رسول الله صلی الله علیه وسلم. وليس بعد هذا الالجاء والمضايقة له لهم بعد العناد منهم الا احد امررين اما ان يؤمنوا بالله ورسوله واما ان يباھلوا على ما هم عليه بامر يسير عليهم وهو - 00:14:49
الموت الذي يوصلهم الى الدار التي هي خالصة لهم. فامتنعوا من ذلك. فعلم كل احد انهم في غاية المعاندة والمحادة لله ولرسوله. مع علمهم بذلك وللهذا قال تعالى ان يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم من الكفر والمعاصي. لانهم يعلمون انه طريق لهم الى المجازاة باعمالهم الخبيثة. فالموت اکره شيء - 00:15:09

اليهم وهم احرص على الحياة من كل احد من الناس. حتى من المشركين الذين لا يؤمنون باحد من الرسل والكتب. ثم ذكر شدة

محبتهم دنيا فقال يود احدهم لو يعمر الف سنة وما هو بمزحه من العذاب - 00:15:49

يود احدهم لو يعمر الف سنة وهذا ابلغ ما يكون من الحرص تمنوا حالة هي من المحالات والحال انهم لو عمروا العمر المذكور لم يغنى عنهم شيئا ولا دفع عنهم من العذاب شيئا - 00:16:09

والله بصير بما يعملون. تهديد لهم على المجازات باعمالهم ورسله وجبريل وميكائيل وجبريل وميكائيل قال فان الله عدو للكافرين. اي قل لهؤلاء اليهود الذين زعموا ان الذي منعهم من الايمان ان وليك جبريل - 00:16:29

قيل عليه السلام ولو كان غيره من ملائكة الله لامنوا بك وصدقوا. ان هذا الزعم منكم تناقض وتهاافت وتكبر على الله فان جبريل عليه السلام هو الذي نزل بالقرآن من عند الله على قلبه. وهو الذي ينزل على الانبياء قبلك. والله هو الذي امره وارسله بذلك. فهو - 00:17:09

رسول محو مع ان هذا الكتاب الذي نزل به جبريل مصدقا لما تقدمه من الكتب غير مخالف لها ولا مناقض وفيه الهدایة التامة من انواع الضلالات والبشرة بالخير الدنيوي والآخروي لمن امن به. فالعداوة لجبريل الموصوف بذلك كفر بالله واياته. وعداوة - 00:17:29

للله ولرسله وملائكته. فان عداوتهم لجبريل لا لذاته بل لما ينزل به من عند الله من الحق على رسول الله. فيتضمن الكفر والعداوة للذي انزله وارسله والذي ارسل به والذي ارسل اليه فهذا وجه ذلك - 00:17:49

بيانات وما يكفر بها الا الفاسقون. يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم ولقد انزلنا اليك ايات بينات تحصل بها الهدایة لمن استهدى. واقامة الحجة على من عاند. وهي في الوضوح والدلالة على الحق. قد بلغت مبلغا عظيما. ووصلت - 00:18:09

الى حالتنا يمتنع من قبولها الا من فسق عن امر الله. وخرج عن طاعة الله واستكبار غاية التكبر. او كلما عاهدوا عهد بل اكثراهم لا يؤمنون. وهذا فيه التعجب من كثرة معاهادتهم. وعدم - 00:18:29

صبرهم على الوفاء بها. فكلما تفید التکرار فکلما وجد العهد ترتب عليه النقض. ما السبب في ذلك؟ السبب ان اكثراهم لا يؤمنون فعدم ايمانهم هو الذي اوجب لهم نقض العهود. ولو صدق ايمانهم لكان مثل من قال الله فيهم من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا - 00:18:49

الله عليه. رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون. اي ولما جاءهم هذا الرسول الكريم بالكتاب العظيم بالحق الموافق لما معهم. وكانوا يزعمون انهم متمسكون بكتابهم - 00:19:09

فلما كفروا بهذا الرسول وبما جاء به نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله الذي انزل اليهم اي طرحوه رغبة عنه ظهورهم وهذا ابلغ في الاعراض كأنهم في فعلهم هذا من الجاهلين وهم يعلمون صدقه واحقية ما جاء به. فبين بهذا ان هذا - 00:19:39

فرقة من اهل الكتاب لم يبقى في ايديهم شيء حيث لم يؤمنوا بهذا الرسول. فصار كفرهم به كفرا بكتابهم من حيث لا يشعرون. ولما كان من العوائد القدرية والحكمة الالهية ان من ترك ما ينفعه وامكنته الانتفاع به فلم ينتفع. ابتدلي بالاشغال بما يضره. فمن ترك عبادة الرحمن - 00:19:59

ابتدلي بعبادة الاوثان. ومن ترك محبة الله وخوفه ورجاءه. ابتدلي بمحبة غير الله وخوفه ورجائه. ومن لم ينفق ما له في طاعة الله انفقه في طاعة الشيطان. ومن ترك الذل لربه ابتدلي بالذل للعبيد. ومن ترك الحق ابتدلي بالباطل. كذلك - 00:20:19

هؤلاء اليهود لما نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلو الشياطين ولا ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا. يعلمون الناس السحر وما انزل على الملا وما يعلمون من احد حتى يقولوا انما نحن - 00:20:39

فتنة فلا تکفر. فيتعلمون منها ما يفرقون به بين المرء وزوجه. وما به من احد الا باذن الله. ويتعلم ما يضرهم ولا ينفعهم. ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاء - 00:21:09

امنوا واتقوا لمثوبة من عند الله لو كانوا اتبعوا ما تتلو الشياطين وتخلقوا من السحر على ملك سليمان. حيث اخرجت الشياطين للناس السحر. وذُعمو سليمان عليه السلام كان يستعمله وبه حصل له الملك العظيم. وهم كذبة في ذلك. فلم يستعمله سليمان بل

نرمه الصادق في قوله - 00:21:39

كما كفر سليمان اي بتعلم السحر فلم يتعلمه ولكن الشياطين كفروا بذلك. يعلمون الناس السحر من اضلالهم وحرصهم علىبني ادم وكذلك اتبع اليهود السحر الذي انزل على الملائكة الكائنين بارض بابنا من ارض العراق. انزل عليهم السحر امتحانا وابتلاء من الله -

00:22:19

فيعلمونهم السحر. وما يعلمان من احد حتى ينصحاه. ويقولا انما نحن فتنة فلا تكفر. اي لا تتعلم السحر انه كفر فيهياه عن السحر ويخبرانه عن مرتبته. فتعلم الشياطين للسحر على وجه التدليس والاضلال. ونسبته وتزووجه الى من برأهم - 00:22:39

الله منه وهو سليمان عليه السلام وتعليم الملائكة امتحانا مع نصحهما لان لا يكون لهم حجة. فهوئاء اليهود يتبعون السحر الذي الشياطين والسحر الذي يعلمه الملائكة فتركوا علم الانبياء والمرسلين واقبلوا على علم الشياطين وكل يصبو الى ما يناسبه -

00:22:59

ثم ذكر مفاسد السحر فقال فيتعلمون منها ما يفرقون به بين المرء وزوجه. ومع ان محبة الزوجين لا تقاس بمحبة غيرهما لان الله قال في حقهما وجعل بينكم مودة ورحمة. وفي هذا دليل على ان السحر له حقيقة وانه يضر باذن الله. اي - 00:23:19

ارادة الله والاذن نوعان اذن قدرى وهو المتعلق بمشيئة الله كما في هذه الاية واذن شرعى كما في قوله تعالى في الاية فانه نزله على قلبك باذن الله. وفي هذه الاية وما اشبهها ان الاسباب مهما بلغت في قوة التأثير فانها تابعة للقضاء - 00:23:39

والقدر ليست مستقلة في التأثير. ولم يخالف في هذا الاصل احد من فرق الامة غير القدرية في افعال العباد. زعموا انها مستقلة غير تابعة للمشيئة فاخرجوها عن قدرة الله فخالفوا كتاب الله وسنة رسوله واجماع الصحابة والتابعين. ثم ذكر ان علم السحر مضره -

00:23:59

محضة ليس فيه منفعة لا دينية ولا دنيوية. كما يوجد بعض المنافع الدنيوية في بعض المعاishi. كما قال تعالى في الخمر والميسر قل فيهم ما اثم كبير ومنافع للناس. واثمهم اكبر من نفعهما. فهذا السحر مضره محضة. فليست له داع اصلا. فالمنهيات كلها اما مضره -

00:24:19

محضة او شرها اكبر من خيرها. كما ان المأمورات اما مصلحة محضة او خيراها اكثرا من شرها. ولقد علموا اي اليهود لم من اشتراه اي رغب في السحر رغبة المشتري في السلعة ما له في الاخرة من خلاق. اي نصيب بل هو موجب للعقوبة فلم يكن فعله - 00:24:39

اياه جهلا ولكنهم استحبوا الحياة الدنيا على الاخرة. ولبيس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون علمًا يثمر العمل ما فعلوه - 00:24:59